

"القمع الشامل": أطفال الضفة الغربية يُقتلون بمعدل غير مسبوق



السبت 23 نوفمبر 2024 01:00 م

كان محمد البالغ من العمر 12 عامًا، مراهقًا مهووسًا بكرة القدم قضى أيامه يحلم بمسيرة في الملعب ودقائقه الأخيرة في ممارسة مهارات الكرة □

كان غسان يبلغ من العمر 14 عامًا، مراهقًا هادئًا وكريمًا كان يقوم بمهمات لأقارب مسنين، مع شقيق محب يبلغ من العمر ست سنوات كان يلتصق به مثل ظلّه □

قُتل الصبية برصاص جنود صهاينة هذا الصيف، ضحايا لارتفاع غير مسبوق في الهجمات على الأطفال في الضفة الغربية المحتلة والقدس الشرقية □

في العام الذي تلا بداية طوفان الأقصى في 7 أكتوبر 2023، قتلت قوات الاحتلال والمستوطنون 171 طفلًا فلسطينيًا هناك، وهو ما يعادل وفاة واحدة كل يومين تقريبًا، وفقًا لبيانات الأمم المتحدة □ وأصيب أكثر من 1000 آخرين □

كانت الضحية الأصغر فتاة تبلغ من العمر أربع سنوات، قُتلت بالرصاص عندما كانت هي ووالدتها جالستين في سيارة أجرة بالقرب من نقطة تفتيش في يناير □

لا توجد حرب رسميًا في الضفة الغربية المحتلة، وقد طغى حجم الموت في غزة على الخسائر هناك □

لكن الأطفال يموتون بأعداد أكبر من أي وقت مضى منذ احتل جيش الاحتلال الصهيوني المنطقة في عام 1967.

وقال جوناثان كريكس، المتحدث باسم اليونيسيف في فلسطين: "خلال العام الماضي، كان هناك زيادة مقلقة للغاية في عدد الأطفال الذين قتلوا في أعمال عنف مرتبطة بالصراع في الضفة الغربية، ونحن نرى بالفعل أن هذا الاتجاه مستمر".

وأضاف: "تريد اليونيسيف دق ناقوس الخطر، بأن الأطفال يُقتلون ويُصابون بجروح خطيرة بشكل منتظم، في الغالب بالذخيرة الحية".

لا تحصي الأمم المتحدة سوى الضحايا من الأطفال الذين تم التحقق من أسمائهم وأعمارهم وسبب وفاتهم □

لم يتم توجيه اتهام إلى أي جندي بشأن أي من عمليات إطلاق النار، ولم يتطرق جيش الاحتلال بشكل مباشر إلى زيادة عدد الضحايا من الأطفال عندما تم الاتصال به للتعليق □

وقال جيش الاحتلال في بيان إن الأطفال في الضفة الغربية المحتلة "غالبًا ما يشاركون" في أعمال شغب حيث يتم إلقاء الحجارة وقنابل المولوتوف والمتفجرات، و"حتى في الأنشطة الإرهابية ضد قوات الأمن والمستوطنين الصهاينة".

وأضاف البيان أنه عندما يُقتل فلسطيني، لا يفتح جيش الاحتلال تحقيقاً جنائياً إذا "لم يكن هناك اشتباه واضح بارتكاب جنود جيش الاحتلال الصهيوني مخالفات"، أو عندما كان الهدف يشارك في نشاط "له طبيعة قتالية واضحة".

حولت حنين حوشية، 37 عامًا، غرفة معيشتها الصغيرة إلى نوع من المزار المؤقت لابنها، محمد مراد أحمد حوشية، الذي خرج للتدريب على كرة القدم قبل أسبوع من عيد ميلاده الثالث عشر في أواخر يونيو ولم يعد إلى المنزل أبدًا □

تحت صورة مؤطرة، يوجد مكعب روبيك ونموذج طائرة فاز بها بأعلى الدرجات في الصف الثالث □ لم يسافر قط في طائرة حقيقية؛ بجانبها، قفازات حارس المرمى متقاطعة بدقة فوق قميص ريال مدريد الثمين □

يظهر ذلك في مقاطع فيديو روتين اللياقة البدنية على حسابه على تيك توك، حيث تتلاشى أحلامه المبهجة في سن المراهقة بالمجد على أرض الملعب □

أطلق النار على محمد بعد ظهر يوم 14 يونيو، على بعد حوالي 50 مترًا من منزله على حافة مخيم للاجئين في جنوب شرق رام الله □

كان في ملعب الحي عندما اجتاح جنود الاحتلال المنطقة، يطاردون رجلاً صدم سيارة مسروقة بنقطة تفتيش وأصاب جنديًا □

كانت حنين قد أخبرت ابنها بالعودة مباشرة إلى المنزل إذا رأى جنودًا في الشارع، ويبدو أن محمد أصيب برصاصة أثناء محاولته العودة إلى والدته □

يظهر مقطع فيديو يلتقط لحظات قبل وبعد الهجوم المميت وهو يندفع في شارع فارغ، وجنود في أحد طرفيه □

وتتحرك الكاميرا بعيدًا قبل أن يصاب، ثم تعود إلى الخلف لتُظهره ملقى على الرصيف، وهو يكافح لفترة وجيزة للوقوف، ثم ينهار □

ويظهر مقطع لاحق الطفل البالغ من العمر 12 عامًا وهو ينزف في منتصف الشارع الذي لا يزال فارغًا □

وقال شهود عيان إن قوات الاحتلال منعت المسعفين من الاقتراب لمدة 20 دقيقة □

ويقول الناشطون إن رجال الإنقاذ يُمنعون بانتظام من الوصول إلى الأطفال الذين تُطلق قوات الاحتلال النار عليهم لفترات طويلة من الزمن □

وقال جيش الاحتلال إنه لم يمنع المسعفين من الوصول إلى الفلسطينيين المصابين ولكنه حد من تحركاتهم أثناء العمليات العسكرية، "لضمان سلامة فرق الإنقاذ".

وذكر جيش الاحتلال أن محمد البالغ من العمر 12 عامًا شارك في "أعمال شغب عنيفة"، وفتح الجنود النار لتفريق الحشد، رغم أنه لم يظهر أي منهم في مقطع الفيديو الذي يُظهر إطلاق النار عليه. وقال البيان: "ظروف القضية قيد التحقيق".

توفي محمد في المستشفى بعد ثمانية أيام من إطلاق النار، متأثرًا بإصابات ناجمة عن جرح طلق ناري واحد في بطنه. وقالت حينئذٍ: "لقد أمضينا 12 عامًا في تربية طفلنا. كان قد بدأ للتو في أن يكبر وأنهوا حياته". كانت الهجمات الصهيونية على الأطفال الفلسطينيين الذين نشأوا في الضفة الغربية المحتلة قد بلغت ذروتها في عام 2002، أثناء الانتفاضة الثانية، عندما قُتل 85 طفلًا، وفقًا لبيانات منظمة بتسيلم الحقوقية. إن وتيرة القتل في العام منذ 7 أكتوبر 2023 ضعف هذا المستوى؛ وأصيب الأغلبية بالذخيرة الحية، غالبًا برصاصة واحدة في الرأس أو الجذع. قُتل آخرون بطائرات مُسيرة وغارات جوية. وقالت الأمم المتحدة إن طفلين من أبناء المستوطنين قُتلا في أعمال عنف مرتبطة بالصراع في المنطقة خلال تلك الفترة. يريد والد محمد، مراد حوشية، محاكمة الجندي الذي أطلق النار على ابنه، لكنه لا يستطيع حتى المرور عبر نقاط التفتيش إلى الأراضي المحتلة لتقديم قضية. وقال: "ابني بريء. هذا قمع كامل. تخيل لو كان الأمر على العكس. إذا سمعوا للتو أن شخصًا ما يريد إيذاء أحد أطفالهم، فماذا سيفعلون؟".

إن شعور مراد بأن قوات الاحتلال الصهيوني قادرة على قتل أطفال مثل ابنه في الضفة الغربية المحتلة مع الإفلات من العقاب تقريبًا يعكس واقعًا حيث التحقيقات غير عادية والملاحقات القضائية استثنائية، وفقًا لمنظمة الدفاع عن الأطفال الدولية - فلسطين، المنظمة الفلسطينية الوحيدة لحقوق الإنسان التي تركز بشكل خاص على حقوق الطفل. قال عابد أبو قطيش، مدير المساءلة في منظمة الدفاع عن الأطفال الدولية: "القضية الأكثر أهمية هي الافتقار إلى المساءلة؛ في جميع الحالات تقريبًا، لا تفتح سلطات الاحتلال تحقيقًا، إلا عندما تكون هناك تغطية إعلامية". وأضاف: "لكن حتى التحقيقات لا تؤدي إلى شيء؛ في غضون 10 سنوات، كانت هناك حالة واحدة فقط حيث حاسبت سلطات الاحتلال جنديًا على قتل طفل".

في عام 2018، أُدين بن ديري بقتل نديم نواره البالغ من العمر 17 عامًا أثناء احتجاج على حاجز بيتونيا. وجدت المحكمة أنه لم يشكل تهديدًا للجنود في ذلك الوقت. حُكم على ديري بالسجن تسعة أشهر ولكن تم إطلاق سراحه قبل شهرين. قضى وقتًا أقل لقتل طفل فلسطيني مما يقضيه العديد من الأطفال الفلسطينيين لإلقاء الحجارة على جنود صهاينة. السعي إلى تحقيق العدالة في نظام الاحتلال الصهيوني للأطفال الفلسطينيين الذين يقتلهم الصهاينة المحتلون أمر صعب للغاية، لدرجة أن منظمة DCIP تركز الآن على العمل الكئيب المتمثل في توثيق الضحايا من الأطفال بدلاً من ذلك. قال إقطيح: "تأسست المنظمة للدفاع عن الأطفال داخل النظام القانوني الصهيوني، وفي مرحلة ما توصلت إلى استنتاج مفاده أنه من المستحيل تحقيق العدالة من خلال نظام العدالة العسكرية، لذلك بدأنا في جمع الأدلة". يعد موقعهم على الإنترنت كتالوجًا لحياة انتهت مبكرًا، مع حالات منشورة مدعومة بأدلة بما في ذلك السجلات الطبية وتقارير الشهود وشهادات الوفاة.

يمكن لسلام زهران أن تقف بجانب نباتات الياسمين على شرفتها وتنتظر إلى المدرسة التي درس فيها ابنها غسان، وخلفها الطريق الذي وقف عليه الجنود الصهاينة عندما أطلقوا النار على الصبي البالغ من العمر 14 عامًا، وفي المسافة البعيدة إلى أبراج تل أبيب المتلاذنة في الشمس على حافة البحر الأبيض المتوسط. لم تحاول سلام حتى تقديم تقرير للشرطة عن الرجال الذين أطلقوا النار على ثلاثة أولاد يلعبون بين أشجار التين واللوز على مشارف القرية في التاسع من يوليو. وقالت: "من المستحيل تقديم شكاوى ضد هذا النوع من النظام. لن يكون هناك أي عدالة لنا. لم يسمح الجنود حتى لأحد بالمجيء لإنقاذه".

شاهد أحد سكان القرية الجنود يطلقون النار على الأولاد الثلاثة وهرع لمساعدتهم. تم احتجازه لمدة 10 دقائق. وقال الرجل الذي طلب عدم ذكر اسمه: "في كل مرة حاولت فيها الاقتراب من الطفل، كان الجيش يطلق النار في الهواء. في كل خطوة نخطوها، كانوا يطلقون النار. لا أعتقد أنهم أرادوا إطلاق النار علينا، ولكن من المؤكد أنهم لم يريدوا منا إنقاذ الطفل". كان المراهق على قيد الحياة عندما وصل إليه الرجل في النهاية لكنه فارقها بعد ذلك بوقت قصير. واعترف جيش الاحتلال بإطلاق النار على الفتى البالغ من العمر 14 عامًا، والذي وصفه المتحدث باسمه بأنه "إرهابي ملثم (قام) بإلقاء الحجارة على مركبات الاحتلال".

وقال الرجل الذي قدم الإسعافات الأولية لغسان إنه لم ير قناعات. في صباحه الأخير، استيقظ غسان مبكرًا، وأعد القهوة لأمه وساعدها في الغسيل قبل أن تتوجه إلى العمل في رام الله. أصبت الحياة أكثر صعوبة في قريتهم دير أبو مشعل منذ 7 أكتوبر 2023، كما هي الحال في معظم أنحاء الضفة الغربية. أغلقت قوات الاحتلال الطريق الرئيسي، لذا فإن الدخول أو الخروج يتطلب 20 دقيقة من القيادة على مسار ترابي عبر بساتين الزيتون. كانت سلام تفكر في الانتقال إلى مكان أقرب إلى عملها لتقصير التنقل اليومي، لكنها اعتقدت أن المشكلة الرئيسية للعائلة كانت اللوجستيات، وليس الأمن.

القرية الهادئة ليست قريبة من مستوطنة صهيونية محتلة ولم تكن قط نقطة اشتعال للاشتباكات. وتابعت سلام: "اعتقدت أننا في أمان. حاولت إبعاد أطفالنا عن كل العنف والمعاناة، لكن الأمر وصل إلينا".

<https://www.theguardian.com/world/2024/nov/19/west-bank-children-killed-unprecedented-rate>